# جمهور كرة القدم اللبنانيّة
# من عَيّ الاهتياج الطّائفيّ إلى بلاغة الاحتجاج السّياسيّ

# Lebanese football fans
# From the weakness of sectarian outburst to the rhetoric of political protest

**د. يونس محمّد علي زلزلي**

**مخبر كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الجامعة اللبنانيّة، لبنان**

**Youness.zalzali@outlook.com**

| تاريخ الإرسال:2021/07/06 | تاريخ القبول: 2021/07/24 | تاريخ النشر: 2021/08/01 |
|---|---|---|

***Abstract:***

The research studies the discourse of the Lebanese football fans, as it expresses the reality of the fans and its transformations in the period extending from February 14, 2005, the date of the assassination of former Prime Minister Rafik Hariri, until after the October 17, 2019 movement. He tries to monitor the seriousness of sectarian outburst in the speech of the fans of the Lebanese football stadiums after the first event, then he anticipates after the second event an eloquent protest, in which the sectarian and regional scattered people gathered, free from the legacies of the past, gathered to formulate a similar response in the face of the crises that afflicted the country. These crises have changed the public's approach from disagreement with the other by using the language of war and its remnants to the emergence of a single people united by its legitimate demands for citizenship rights and the dignity of the citizen.

***key words**:* discourse; fans; sectarian outburst; eloquent protest; response.

## مُلخّص البحث

يدرس البحث خطاب جمهور كرة القدم اللبنانيّة، في تعبيره عن واقع الجمهور وتحوّلاته في المرحلة الممتدّة من 14 شباط 2005، تاريخ اغتيال رئيس الحكومة الأسبق رفيق الحريري، إلى ما بعد حراك 17 تشرين الأوّل2019. فيحاول أن يرصد خطورة الاهتياج الطّائفيّ في خطاب جمهور ملاعب كرة القدم اللبنانيّة بعد الحدث الأوّل، ويستشرف بعد الحدث الثّاني احتجاجًا بليغًا، اجتمع فيه المتفرّقون طائفيًّا ومناطقيًّا متحرّرين من موروثات الماضي، ليصوغوا استجابةً متشابهة في مواجهة الأزمات الّتي عصفت بالبلاد. لقد غيّرت هذه الأزمات مقاربة الجمهور من الاختلاف مع الآخر باستخدام لغة الحرب ورواسبها إلى الظّهور شعبًا واحدًا تجمعه مطالبه المشروعة في حقوق المواطَنة وكرامة المواطن.


**الكلمات المفتاحية:** خطاب؛ جمهور؛ اهتياج طائفيّ؛ احتجاج بليغ؛ استجابة..

**لمحة عن واقع كرة القدم اللبنانيّة:**

تستحوذ كرة القدم في لبنان على متابعة شريحةٍ شعبيّة واسعة. وهي لا تختلف فيه عن واقعها العالميّ من حيث أنّها اللعبة الشّعبيّة الأولى. وقد نشأ اتّحادها المحلّيّ وانطلقت بطولاتها (الدّوري والكأس) في ثلاثينيّات القرن الماضي. وصار لبنان عضوًا في الاتّحادين الأسيويّ والدّوليّ لهذه اللعبة، لكنّ هذا البلد الصّغير قائمٌ على تنوّعٍ طائفيٍّ كبير قوامه ثماني عشرة طائفة معترف بها رسميًّا، ويمثّلها أعضاء في مجلس النّوّاب اللبنانيّ. هذا التّنوّع الطّائفيّ انعكس تنوّعًا حزبيًّا لم تخرج فيه الأحزاب -إلّا في ما ندر- من حصن الطّائفة وحضنها؛ فصار الحزب واجهتها السّياسيّة والقيّم على شؤونها كافّة؛ الرّياضة تُعَدُّ واحدةً من هذه الشّؤون.

وقد بدأ انتشار اللّعبة في لبنان في مرحلة الانتداب بأنديةٍ أنشأها مسيحيّون (النّهضة والسّكّة وحلمي سبور والرّاسينغ والشّبيبة المزرعة ...)، لكنّ إنشاء نادي النّجمة(1945) ومن بعده نادي الأنصار(1951) ولاحقًا أندية ضواحي بيروت وبقيّة المحافظات أخرج اللعبة من آحادية الطّائفة والعاصمة إلى كلّ جهات الوطن، من دون أن يفلح في إبعادها من ملاعب الطّائفيّة السّياسيّة، على الرّغم من تنوّع تشكيلات اللاعبين في كلّ فريق، "فقد ظلّت إدارات الأندية وجماهيرها فئويّة الولاء، ولذا اعتاد اللبنانيون بمرّ السّنين على ظاهرة أن يلعب لاعبون مسلمون لأندية مسيحيّة القاعدة، والعكس بالعكس. ولكنّ الهويّات الطاغية على الأندية بقيت على حالها" (كرة القدم اللبنانية شيعية وسنية ودرزية ومسيحية، 2001).

أمّا في توزيع الأندية على الطّوائف؛ فيمكن بسهولة القول إنّ فريق السّلام زغرتا مارونيّ من الأطراف، وفريق الحكمة التّابع لمدرسة الحكمة هو فريقٌ مارونيّ، وجاره في منطقة الأشرفيّة البيروتيّة فريق الرّاسينغ روم أرثوذكس، والأنصار والنّجمة والرّياضة والأدب والأهلي صيدا سُنّة، والعهد والتّضامن صور والبرج والشّباب الغازيّة وشباب السّاحل فرق شيعيّة، وحركة الشّباب فريقٌ طرابلسيّ علويّ، والصّفاء والإخاء فريقان درزيّان، والهومنتمن والهومنمن فريقان أرمنيّان. وفي إعادة توزيع هذه الفرق على الأحزاب، نجد أنّ السّلام زغرتا هو فريق تيّار المردة، والنّجمة والأنصار يدينان بالولاء لتيّار المستقبل، والعهد هو الجناح الرّياضيّ لحزب الله، والهومنتمن هو فريق حزب الطاشناق الأرمنيّ اليمينيّ، والهومنمن هو فريق حزب الهنشاك الأرمنيّ اليساريّ، والصّفاء والإخاء هما فريقا الحزب التقدّميّ الاشتراكيّ. أمّا التّضامن صور والشّباب الغازيّة وشباب السّاحل والمبرّة والشّبيبة المزرعة، فهي فرق تدور في فلك حركة أمل والشّيوعيّين والمرجع الدّيني السّيّد محمّد حسين فضل الله. وكان فريق الحكمة مقرّبًا إلى القوّات اللبنانيّة، قبل أن يدخل التّيّار الوطني الحرّ شريكًا مضاربًا لها فيه. كذلك، كان فريق حركة الشّباب في جبل محسن-طرابلس، يتبع للحزب الدّيمقراطيّ العربيّ هناك.

انطلاقًا ممّا تقدّم، سأحاول أن أقارب في هذا المقال خطاب جمهور كرة القدم اللبنانيّة في مرحلتين زمنيّتين مختلفتين، متلمّسًا فكّ شيفراته البلاغيّة المشحونة بالدّين والطّائفيّة السّياسيّة في المرحلة الأولى، والمنخرطة في قضايا المجتمع واحتجاجاته في المرحلة الثّانية. وقد كان خطاب هذا الجمهور مؤثّرًا أساسيًّا في ساحات انتفاضة تشرين في عديده وشعاراته. سأحاول أن أدلّل إلى أنّ تجمّعات المحتجّين استمدّت زخمها التأثيريّ والإقناعيّ من استعارتها خطاب جمهور الملاعب وتقنيّاته.

## جمهور كرة القدم اللبنانيّة وخطاب الطّائفيّة السّياسيّة-الرّياضيّة 2005-2019

لقد بيّنا في المقدّمة كيف تشكّلت هويّة الجماهير الكرويّة. لذلك سنعاين استجابة هذه الجماهير للأحداث المتلاحقة الّتي شهدها لبنان بعد اغتيال الرّئيس الشّهيد رفيق الحريري في 14 شباط 2005. فقد شهد الشّهر الأوّل بعد عمليّة الاغتيال خطابًا رصينًا وواعيًا، أوحى بشكلٍ مخاتل بأنّ الجمهور الرّياضيّ خصوصًا واللبنانيّ عمومًا قد تلقّف الصّدمة وتجاوزها. فكانت لافتات "اشتقنالك" في مباراة الأنصار (شوت، 2005، صفحة 5)، و"لأجل الحقيقة" و"نريد الحقيقة" في مباراة المبرّة والتّضامن (شوت، 2005، صفحة 4)، و"الحقيقة لأجل لبنان" في مباراة النّجمة والأولمبيك (شوت، 2005، صفحة 7). وواظب اللاعبون على ارتداء قمصانٍ

سوداء، كفريق النّجمة مثلًا، أو وضع إشاراتٍ سوداء على أيديهم كحال بقيّة الفرق، في تعبيرٍ عن أرقى درجات التّضامن الوطنيّ الّتي بدا معها أنّ الانقسامات الواقعة قبل الاغتيال قد ولّت إلى غير رجعة. كان المشهد سوريالياً إلى حدّ أنّه أعاد إلى الذّاكرة "مشهد جمهور النّجمة في ذروة المدّ النّاصريّ، يهتف على مدرّجات ملعب بيروت البلديّ: ناصر ناصر ناصر...عندما سجّل أحد لاعبي فريق الإسماعيلي المصريّ هدفًا في مرمى فريقهم النّجمة" (خالد، 2021). فقد تجاوز الجمهور انتماءه واحتفى بهدف خصمه ليطلق مكنونات ولائه للزّعيم العربيّ جمال عبد النّاصر. ولم تكن المناسبات الوطنيّة بعيدةً من خطاب الجمهور في الأحوال العاديّة، كأن يرفع جمهور النّجمة لافتة تهنئة بمناسبة عيد المقاومة والتّحرير: "نهنّئ لبنان بذكرى يوم التّحرير" (شوت، 2004)، وقبل التّحرير، عبّر هذا الجمهور عن تضامنه مع الجنوب اللبنانيّ وأطفاله المقتولين بآلة الحرب الإسرائيليّة: "استشهاد أطفالنا وسامٌ لعزّة الوطن-دماء أطفالنا غاليةٌ علينا" (النّجوم، 1998).

لكنّ هذا الحزن الجامع على رفيق الحريري، سرعان ما تلاشى، وانسحب التّوتّر السّياسيّ الحادّ وانقسام اللبنانيّين بين مؤيدٍ لسوريا في حشد 8 آذار 2005 ومعارضٍ لها في حشد 14 آذار 2005 على الجمهور الرّياضيّ في استجابته السّريعة إلى لغة التّحشيد والتّعصّب في الفضاء البيروتيّ حيث فريقا النّجمة والأنصار، قطبا الكرة اللبنانيّة ومستقطبا معظم جمهورها. وقد زاد في حدّة الاستقطاب أنّ الانقسام بعد الاغتيال أخذ طابعًا مذهبيًّا بين السّنّة والشّيعة؛ فبينما ارتكز تجمّع 8 آذار على رافعة سياسيّة شيعيّة هي ثنائي حزب الله وحركة أمل؛ فإنّ تجمّع 14 آذار اتّكأ على رافعة سنّيّة هي تيّار المستقبل. وقد كان جمهور فريق الأنصار بمعظمه سنّيًّا يتمركز في طريق الجديدة وفي محيط الملعب البلديّ، في حين أنّ فريق النّجمة ذا الإدارة السنّيّة الحريريّة الهوى الّذي كان يشرف عليه نجل الرّئيس الشّهيد رفيق الحريري بهاء قبل اغتيال والده، امتلك قاعدة شيعيّة واسعة في بيروت والمناطق. وفي ذلك يقول الصّحفيّ اللبنانيّ المتخصّص في علم الاجتماع عصام سحمراني لموقع اليوم السّابع الإلكترونيّ: "إنّ شيعة بيروت والضّاحية الجنوبيّة والبقاع والجنوب يصبغون نادي النّجمة اللبنانيّ بصبغتهم الطّائفيّة الّتي تؤهّل النّادي لأن يكون صاحب أكبر قاعدة جماهيريّة بين النّوادي اللبنانيّة" (عبدالرّحمن، 2018). وقد شاعت حينها هتافات تصنّف فريق الأنصار محسوبًا على تيّار المستقبل وزعيمه الجديد سعد رفيق الحريري، منها "الله حريري طريق جديدة"، "سعد سعد سعد"، بينما جهد جمهور فريق النّجمة بتظهير انتمائه إلى ثنائي حركة أمل وحزب الله بهتافاتٍ عديدة، نذكر منها: برّي نصر الله والضّاحية كلّها- "أبو هادي أبو هادي: وأبو هادي هو السّيّد حسن نصرالله"- هرّي

هرّي هرّي الله ونجمة وبرّي" (عبارات مستقاة من مشجّعين أنصاريّين ونجماويّين قابلتهم أثناء إعداد البحث). ليست السّياسة بعيدة من الرّياضة في أماكن كثيرة؛ فخطاب الرّياضة صوتٌ يفيد استثماره سياسيًّا. تقول دينا جركس لموقع قناة الحرّة الالكترونيّ: "بدأ السّياسيّون يدركون أنّ مدرّجات كرة القدم وجماهير الالتراس[1] تشكّل صوتًا مهمًّا ضدّ معارضيهم، ولذلك تخلق السّلطة السّياسيّة ناديًا تابعًا لها" (محمود، 2020). فما تقوم به الأحزاب السّياسيّة في لبنان سبقها إليه كثيرون، ففي العراق، أسّس عدي صدّام حسين فريق "الرّشيد" (1983-1990)، وفي تركيا، أنشأ حزب العدالة والتّنمية ورجب طيّب أردوغان فريق "اسطنبول باشاك شهير"، واستلحق حزب الله اللبنانيّ نفسه بفريق "العهد"، ليشكّل فرعًا رياضيًّا للحزب إلى جانب الأجنحة العسكريّة والاقتصاديّة والسّياسيّة..." (محمود، 2020).

تفاقم الانقسام السّياسيّ والاحتقان المذهبيّ في لبنان منذ الغزو الأميركيّ للعراق في العام 2003، مرورًا باغتيال الرّئيس الحريري، ليبلغ ذروته في أحداث 7 أيّار 2008، ثمّ يشهد فصولًا حامية بعد اندلاع الحرب السّوريّة. ولأنّ الجماعات المتنازعة محكومة بسقف عدم العودة إلى الاقتتال الأهليّ، وبتفاهمات الضّرورة كما حصل في تسوية الدّوحة بعد أحداث 7 أيّار؛ فإنّ ملاعب كرة القدم كانت متنفسًا للمكبوتات والمكنونات على اختلافها، حتّى ولو لامست المحظور في البذاءة والتّحدّي والتّعصّب والعنف. فلم تعد مباريات كرة القدم محصورةً بمنافسةٍ على بطولة دوريّ أو كأس، ولا هي مباريات ودّيّة يسودها اللّعب النّظيف والتّشجيع اللّطيف. صارت الملاعب ميادين للقدح والرّدح والاستقواء. وصار الالتراس في الملعب في خدمة "العمليّات السّياسيّة للسّياسة المشاكسة انطلاقًا من مفهوم سياسة الشّوارع، بالأغاني والهتافات (والوسومات) بوصفها مستودعات للمعنى" (عبداللطيف، 2019). وصارت رحلات الفرق بين الملاعب والمناطق محفوفة بالمخاطر. "تتحوّل ملاعبنا الرياضية الى ساحات لتصفية الحسابات السّياسيّة، والتّراشق بالأحقاد الطّائفيّة، وتأكيد الاختلاف في مجتمعٍ ينادي بالتّعايش ظاهرًا ويعيش عكسه باطنًا، في بلادٍ استقبلت "أصوليّة" طارئة تتمثّل في التّطرّف الرياضيّ" (كريّم، 7 حزيران 2014). ويحلّل الباحث الاجتماعيّ طلال عتريسي العنف في أداء جمهور الرّياضة اللبنانيّة؛ فيرى أنّ المشكلة هي أنّ الفرق محسوبة على طوائف وأحزاب، لا بل أصبحت جزءًا من النّشاط الحزبيّ

[1] الألتراس كلمة لاتينيّة الأصل وتعني "الشّيء الفائق أو الزّائد عن الحد"، وتُطلق هذه الكلمة على مجموعات من مشجّعي الأندية الرّياضيّة التي تُعرف بولائها وحبّها الشّديد الذي يصل إلى حدّ التّطرّف في تشجيع فرقها، كما أنّها تتميّز بالتّنظيم الشّديد (عفيفي، 2018).

لخلق النّفوذ او المحافظة عليه، وبالتالي فإن ما نراه حاليًا من عنف هو ترجمة لتقسيم الأندية الرّياضيّة وفق هذه الصفات... إنّ الشّريحة الأكبر من الجمهور الرياضيّ هي شابّة، والتّحريض الاعلاميّ سار في مستوى تصاعديّ منذ عشرة أعوام؛ فضُخَّ العنف في داخل الشّباب من دون شعورهم به". (كريّم، 7 حزيران 2014). وبالفعل، انحدر الخطاب من تبادل الشّتائم على المدرّجات إلى السّلوك العنيف في محيطها. ففي 28 نيسان 2009،" تجمهر عدد من شبّان منطقة الطّريق الجديدة (السّنّيّة) في العاصمة بيروت، وتعرّضوا للاعبي فريق العهد (الشّيعيّ) ولسيّاراتهم بالآلات الحادّة والحجارة والرّصاص، ونجا اللاعبون بأعجوبة" (شربل، 2009). في 16 تشرين الثّاني 2015، وبعد مباراة فريق النّجمة مع فريق الصّفاء في مدينة صيدا، أطلق جمهور النّجمة هتافاتٍ ألهبت أجواء المدينة واستدعت تدخّلًا عاجلًا من المرجعيّات السّياسيّة والأمنيّة لتطويقها. ومن هذه الهتافات قيل: "شو هيدا شو هيدا والشّيعة احتلّوا صيدا- لبّيك يا حسين- السّلام عليك يا أبا عبد الله..." (الياس، 2015). كما تعرّضت حافلة لجمهور فريق النّجمة (جمهور شيعيّ) للتّكسير في مدينة طرابلس (السنّيّة) في 16 آب 2017. وبلغ الخطاب المذهبيّ حدًّا في أحد لقاءات القمّة بين النّجمة والأنصار، " أن قام العديد من جمهور النّجمة بترديد هتاف: لبّيك يا حسين؛ فردَّ جمهور الأنصار بهتاف: لبّيك يا عمر" (الطائفية تنتقل إلى الملاعب.. "لبيك يا عمر" ردا على "لبيك يا حسين" في مباراة الأنصار والنجمة، 2017). وانغمس الجمهور الرّياضيّ اللبنانيّ في الأحداث السّوريّة مظهّرًا الانقسام اللبنانيّ العميق حولها. ففي نهائي كأس لبنان الّذي جمع فريقي العهد والأنصار، "هتف جمهور فريق العهد للرّئيس السّوريّ بشّار الأسد الله سوريا بّشار وبس" ("العهد" يتوج بكأس لبنان... وجمهوره على المدرجات: "الله سوريا بشار وبس"، 2019). ولو سئل جمهور العهد عن حجّته في ذلك، لاستعاد جواب بعض النّجماويّين في تبريرهم هتافات صيدا قبل أربعة أعوام: شعار "الشّيعة احتلّوا صيدا"، حسب قول نضال(مشجّع نجماويّ)، أتى بعد أن رفع جمهور نادي الأنصار علم جبهة "النّصرة" وشعارات دعم لها في مباراة صيدا" (عزّالدّين، 5 أيّار 2016).

هكذا، صارت الملاعب "السّاحة الأبرز للتّعبئة الجماهيريّة، وتحوّلت إلى منابر سياسيّة" (Zahi, 2012, p. 8). وقد تغيّر نمط تلقّي المباريات، وانتقل من ثقافة المشاهدة إلى ثقافة التّشجيع، وتأسّست مجموعات "الألتراس"، وفي ظلّ غياب الحوار السّياسيّ والأطر الاجتماعيّة والنّقابيّة والعمّاليّة عن المشهد اللبنانيّ، صارت المدرّجات مكانًا متاحًا للتّعبير. لكنّ الجمهور الّذي انقسم على نفسه في كرة القدم انقسامًا مذهبيًّا (سنّيّ/شيعيّ: نجمة وأنصار وعهد) وفي كرة السّلّة انقسامًا طائفيًّا (إسلاميّ / مسيحيّ: رياضي وحكمة)، لم يحظ بمجموعات الألتراس التي قادت

الرّأي العام في تونس (فريقا التّرجّي والإفريقيّ) والمغرب (فريقا الرّجاء والوداد البيضاويّين) ومصر (فريقا الأهلي والزّمالك) بطريقةٍ خلّاقة. ولعلّ نشيد "في بلادي ظلموني"، صار أيقونةً في خطاب الاحتجاج والرّفض في العالم العربيّ المعاصر. كان الجمهور الكروي اللبنانيّ يتحرّك بمنطق الارتجال وردود الأفعال واستسهال لغة الشّتيمة والرّدح والقدح والتّعصّب. ولم تفلح جهود الإطفائيّين على المدرّجات وفي الملاعب في تجنيب الرّياضة خطاب الفتنة والانقسامات. لكنّ هذا الواقع، لم يجرّد الجمهور من نوازعه الإنسانيّة. فقد كان يتجاوز ما بينه من اختلافات عميقة، ويحرّك الرّأي العام في حركةٍ اجتماعيّةٍ تقوم على الفعل الجماعيّ والتّضامن وحملات المساعدة للمرضى وضعيفي الحال، كما فعل في قضيّة الطّفل محمّد العوطة " فقد تعاون جمهورا النّجمة والعهد في العام 2018، وجمعا المبلغ المتبقّي للعمليّة الجراحيّة التي يحتاجها الطّفل (20 ألف دولار)، في يومٍ واحد، خلال المباراة التي جمعت فريقيهما على ملعب مدينة كميل شمعون الرّياضيّة، ضمن نصف نهائي كأس النّخبة" (الدّين، 25 آب 2018). ونظّم جمهور النّجمة حملات مماثلة لتأمين تكاليف معالجة اللاعب محمّد فاعور والمشجّع محمّد العتريس وغيرهما... وقد عرفت فرق الأنصار والنّجمة والعهد قيمة الألتراس، "فشكّلت مجموعة من مشجّعي العهد ألتراس " بلو إنفرنو" بعد " سوبّر نوفا" النّجماويّ و "تيفوزي" الأنصاريّ (الدّين، الموسم الكروي ينطلق غدًا بالسّوبّر النّجمة لتأكيد التّفوّق والعهد لمعادلة ألقاب منافسه، 1 أيلول 2018)، سنرصد أثرها في المبحث الأخير.

**جمهور كرة القدم اللبنانيّة والخطاب الاجتماعيّ بعد 17 تشرين الأوّل 2019**

بعد الانتفاضة الشّعبيّة في تشرين الأوّل 2019، انتقل الجمهور اللبنانيّ من الخطاب السّياسيّ والطّائفيّ إلى خطاب الاحتجاج السّياسيّ والاجتماعيّ."فتحوّل مفهوم الفضاء الاحتجاجيّ ليشمل فضاءات غير تقليديّة مثل الملاعب..." (عبداللطيف، 2019). فاسترجع الجمهور دوره الرّياديّ في المجتمع، وهو الّذي كان يطمح إلى ذلك في مناسباتٍ سابقة. ففي العام 1999، رفع جمهور النّجمة في إحدى المباريات لافتة كتب عليها: "النّجمة مدرسة إذا أعددتها أعددت جمهورًا طيّب الأعراق" (النّجوم، 1999)، وفي المباراة نفسها، رفع لافتةً أخرى كتب عليها: "سيبقى نادي النّجمة وجمهوره الشّعلة الّتي تضيء طريق المستقبل والشّباب الرّياضيّ في لبنان" (النّجوم، 1999). هذه الفعاليّة الخطابيّة استندت إلى معطيات توجّهٍ معاصر من توجّهات البلاغة العربيّة هو بلاغة الجمهور".عبداللطيف، 2019). فقد سبق جمهورا النّجمة والأنصار سائر اللبنانيّين بالاستجابة لخطابات السّلطة والتّصارع معها؛ فرفعا في افتتاح الدّوري اللبناني لكرة القدم في

أيلول 2019 وما أعقبه من مباريات "يافطات في الملاعب تضع المسألة الاجتماعيّة في صلب المدرّجات. فمشجّعو فريق "النّجمة" رفعوا يافطة كتب عليها: "الشّعب اذا جاع بياكل حكامه"، بينما رفع مشجعو "الأنصار" يافطة أخرى في الاتّجاه نفسه، قالوا من خلالها "الفقر سيفٌ حادّ ارحموا جيوب العباد" (معوّض، 2019). لقد تفوّقت لحظة 17 تشرين 2019 على لحظة 14 شباط 2005، في كونها لم تكن انفعالًا ظرفيًّا عابرًا في وعي الجماهير، إنّما هي نتاج تراكمٍ عميق من المظالم الاجتماعيّة والاستئثار السّياسيّ الّذي لم يجد في الجمهور في مواجهته لا نقابات ولا منظّمات مجتمع مدني. فكان الجمهور الرّياضيّ رافعةً أساسيّة في هذا الحراك. وإن أخذنا فريق النّجمة مثلًا، وهو الفريق الأكثر شعبيّةً في لبنان ويليه فريق الأنصار، فإنّ جماهير كرة القدم اللبنانيّة عمومًا هم من الفقراء ومن الطّبقة الوسطى الّتي تضرّرت والتحقت بعموم الفقراء بفعل السّياسات الاقتصاديّة والاجتماعيّة المجحفة في العقود الأخيرة. نزل الجمهور الرّياضيّ إلى الحراك، لكنّه لم يكن منظّمًا كالألتراس في مصر والمغرب وتونس. كانت جماهير النّجماويّين والأنصاريّين والصّفاويّين والحكماويّين تتوزّع السّاحات من الشّهداء في بيروت إلى فرن الشّبّاك وطرابلس والشّويفات وصيدا. لكنّها لم تكن ألتراسًا واحدًا موحّدًا في ساحات الحراك. قيل: "إنّ هتاف "هيلا هيلا هيلا هو سابق على الثورة، ويقال إن منشأه ملاعب كرة القدم" (السّاحلي، 2019)، وقد استقصيت من بعض المشجّعين النّجماويّين أصل الهتاف لبنانيًّا؛ فأخبروني أنّه كان هتاف تنمّرٍ وتخوين يستخدمونه بحقّ مدرّب الأنصار السّابق "عدنان الشّرقي"، فكانت صيغته: "لاطلع عالجبل هو واندە يا ناس يا هو والشّرقي أبو قرعة بيشبه نتنياهو"(شهادة مشجّعين نجماويّين). تجدر الإشارة إلى أنّ مضمون الهتاف الأصليّ بحقّ مدرّب الأنصار؛ والمستعار لاحقًا إلى ساحات الحراك شتائميّ سافر، لأنّ الهتاف المستعار في شقّه الثّاني كان يتضمّن شتيمةً بحقّ أمّ السّياسيّ المسمّى فيه نتحفّظ عن ذكرها في هذا المقام. لكنّ الهتاف ليس لبنانيًّا صرفًا. "تعود ملكيّته إلى ألتراس جمهور النّادي الأهلي المصريّ. تتردّد "الهيلا هيلا هو" منذ السّبعينيّات الفائتة، أي منذ خمسين عامًا في مدرّجات كرة القدم المصريّة. حيث كان يهتف جمهور النّادي الأهلي: هيلا هيلا هيلا هو...الأهلي ما فيش زيّه" (ترحيني، 2020).

وقد استخدم بعض المتظاهرين في وسط بيروت (على جسر الرّينغ) بوجه المتظاهرين المحتجّين هتاف"شيعة شيعة شيعة" وهو الهتاف الّذي كان بعض جمهور النّجمة يطلقه في مباريات النّجمة مع الأنصار. فكان هذا الهتاف ترجيعًا لصدى الخلاف القديم والمزمن وخطوة إلى الوراء، يستعاد من خلالها مشهد الانقسام على أسس طائفيّة ومذهبيّة تضعف الحراك في

بعده المطلبيّ والاجتماعيّ الذي يعني اللبنانيّين جميعهم، ويشطر الشّارع مجدّدًا بعد اجتماعه المشهود.

في تظاهرات تشرين الأوّل 2019 ،" ظهرت أعلام فريقي النّجمة والأنصار وهما الأكثر شعبيّة في البلاد والأكثر عداوة، في السّاحات في بيروت مرّات عدّة جنبًا إلى جنب، منذ اندلاع الاحتجاجات" (القزّي، 2019). وقد استعان الجمهور اللبنانيّ بأغانٍ وشعارات من أكثر من دولة عربيّة للتّعبير عن سخطهم من سلطات بلادهم، كان أبرزها "أغاني ألتراس نادي كرة القدم المصري الأهلي التي صدرت عقب قمع السّلطات المصريّة لجماهير أندية كرة القدم التي كانت تشارك في ثورة 25 يناير ضدّ الرّئيس الأسبق حسني مبارك" (القزّي، 2019). وقد حوّل أحد النّاشطين "خضر هاشم" نشيد "في بلادي ظلموني" من اللهجة المغربيّة إلى اللبنانيّة وسجّله في أغنية بعنوان (حرقولي بلادي): أنظر يوتيوب(في بلادي ظلموني على الطّريقة اللبنانيّة، خضر هاشم Lebanon rap 2019 ). هكذا، حاكى جمهور كرة القدم اللبنانيّة بقيّة اللبنانيّين في صياغة حواريّة تقاوم الخطاب السّلطويّ بما تيسّر من عدّة التّشجيع القديمة مضيفًا إليها ما اكتسبته ساحات الحراك من تفاعل مع أقرانها من ساحات العرب في المشرق والمغرب العربيّين. فتقمّص جمهور كرة القدم "دور الطّرف المقاوم المفنّد الفاضح لقوى ظلم متعيّنة اسمًا، تتشابه في صفاتها مع قوى الظّلم في مجتمعات وثقافات شتّى" (عبداللطيف، 2019). لكنّ هذا الجمهور لم يجتمع بكلّيته في صفوف المتظاهرين؛ ففي الوقت الّذي كان جمهور فرق النّجمة والأنصار والصّفاء والإخاء وغيرهم يتظاهر في الشّوارع، كان فريق العهد يهدي أوّل بطولةٍ قاريّةٍ (آسيويّة) يحرزها فريق لبنانيّ في تاريخ الكرة اللبنانيّة إلى رئيس الجمهوريّة، "ليكون بمثابة الإشارة إلى خروج الفريق بما يحمله من أبعاد سياسيّة عن الانتفاضة الشّعبيّة وقطيعته معها" (محسن، 2019). ولم يتح لبقيّة الجمهور تظهير موقفه، لأنّ مباريات المنتخب اللبنانيّ في التّصفيات الآسيويّة آنذاك، بمواجهة منتخبي الكوريّتين الجنوبيّة والشّماليّة أقيمتا من دون جمهور بقرارٍ أمنيّ لبنانيّ على خلفيّة الاحتجاجات الّتي كان يشهدها الشّارع اللبنانيّ.

يمكن أن نزعم أنّ مشاركة جمهور كرة القدم اللبنانيّة في الحراك لو تُزخَّم أو تُنَظَّم، كان من شأنها أن تفتح بابًا لمقاربات جديدة خارج الصّندوق الطّائفيّ والسّياسيّ الذي تحتبس فيه البلاد. فالأدبيّات الّتي قدّمها الجمهور الرّياضيّ اللبنانيّ بالإبداع أو بمحاكاة أقرانه العرب، تعبّر عن ديناميةٍ فاعلة وبلاغةٍ في صوغ خطاب الاحتجاج وتقديمه إلى ساحاته وأهلها كما حصل في ساحات بيروت وطرابلس وصيدا، بما يؤسّس لصوغ خطابٍ قادرٍ على تفنيد خطابات السّلطة وتعريتها، أو بالحدّ الأدنى، يأخذ بالجمهور الرّياضيّ اللبنانيّ بعيدًا من خطاب الانقسام والتّشظّي

السّياسيّ والطّائفيّ والمذهبيّ والمناطقيّ الّذي ترزح تحت أثقاله كلّ أشكال الخطاب الأهليّ وتعبيراته وتجلّياته منذ زمن الحرب الأهليّة إلى اليوم. كان يمكن إعطاء الخطاب الكرويّ الرّياضيّ دوره ومنبره، ليضّطلع بمهام اجتماعيّة تمكّن الجمهور من تغيير مصيره بالعمل المشترك مع سائر القطاعات والهيئات والمنظّمات. فالرّياضة في الأزمات الوطنيّة تتجاوز مفهوم التّرفيه، وتقوم استنادًا إلى التزام أهلها بما يمليه الواقع عليها من ضرورات النّضال. وقد أثبتت جدارتها في ذلك في قضيّة التّحرير؛ فحريٌّ أن تكون طليعيّةً في قضايا التّحرّر والإصلاح، لا سيّما أنّها الأقدر في تطويع الخطاب وشحنه بما يقتضي من شيفرات ورسائل ودلالات.

**خلاصة**

عرضت في هذا البحث مطالعةً وصفيّةً تاريخيّةً وتحليليّة لمسار خطاب جمهور كرة القدم اللبنانيّة في العقدين الأخيرين، وطريقته في الاستجابة لمتغيّرين حاسمين في الحياة السّياسيّة اللبنانيّة. كانت استجابته مع المتغيّر الأوّل سلبيّة مفرطة في تماهيه مع وقائع الانقسام السّياسيّ والطّائفيّ وتعميقه لها. فبيّنت بجردةٍ من الهتافات والشّعارات والوقائع والأحداث، كيف أنّ هذا الخطاب كان منفعلًا ولم يكن فاعلًا في استجابته للمتغيّر الأوّل (اغتيال الرّئيس الحريري وانقسام السّاحات بين 8 و14 آذار). فلم يكن ممكنًا الحديث عن بلاغة الجمهور في تلك المرحلة، لأنّ الخطاب فيه من تعبيرات العجز والاستسلام والمماشاة للواقع ممّا جعلني أصفه بخطاب العيّ. فهو أمعن في مفاقمة الواقع وانقاد له من دون أن يبدي أدنى قدرة على مقاومته. لكنّ خطاب هذا الجمهور بعد تظاهرات تشرين الأوّل 2019، عبّر عن نقلةٍ نوعيّة من الانفعال إلى الفعل ومن التأثّر إلى التأثير. فخرج من سلبيّة المراوحة إلى إيجابيّة التّغيير ومن التّمترس خلف جدران العزلة والشّتيمة والبذاءة والطّائفيّة إلى ساحات الاحتجاج والتّغيير والمقاومة بالأناشيد والهتافات واللافتات. لقد قدّم الخطاب الكرويّ اللبنانيّ استجابةً بليغة في تأكيد قدرته على مقارعة الخطاب السّلطويّ بما أنتج واستعار وعدّل من أشكال الخطاب، مثبتًا أن جمهور كرة القدم يمكنه أن يكون بليغًا وطليعيًّا إن أراد، ويمكنه أن يتلقّف المبادرة ويصوغ للآخرين فصول الرّؤية والخطاب بدلًا من اجتراره نقائص مجتمعه ونقائضه. وإن كان الإفراط في التّفاؤل في غير محلّه لسببين، الأوّل أنّ الجمهور الكرويّ لم يكن بكلّيته في ميادين الاحتجاج، والثّاني أنّ الخطاب السّلطويّ الموارب والمخاتل، ما زال يمسك بزمام السّلطة والمال والإعلام والقوّة. لكنّ جماهير كرة القدم اللبنانيّة أثبتت في مرحلة ما بعد حراك تشرين الأوّل 2019 قدرة خطاباتها على توظيف استراتيجيّات خطابيّة فعّالة وتداوليّة ومؤثّرة، وعبّرت عن وعيها والتزامها بهموم مجتمعها، بما يؤسّس لخطاب وطني مشترك يجسر هوّة الاختلاف ويعزّز لغة الائتلاف بين

الشّرائح المتنوّعة الّتي تكوّن النّسيج اللبنانيّ الغنيّ بتعدّده إذا أحسن إدارة هذا التّنوّع واجترح صيغةً خلّاقة في الحوار المطلوب.

## قائمة المراجع:


**أوّلًا: المراجع العربيّة:**

1- (21 كانون الأوّل, 1998). جريدة النّجوم صفحة 7.

2- (8 شباط, 1999). جريدة النّجوم، صفحة 6.

3- (31 أيّار, 2004). جريدة شوت.

4- (13 شباط, 2005). جريدة شوت.

5- (7 آذار, 2005). جريدة شو.

6- أحمد خالد. (25 نيسان, 2021). أغلبيّة النّجماويّين بيارتة ويبقون. مجلّة الشّراع، صفحة 27.

7- شربل كريّم. (7 حزيران 2014). العنف الميليشيوي في ملاعبنا: الأصل التربية. جريدة الأخبار، رياضة.

8- علي زين الدّين. (1 أيلول 2018). الموسم الكروي ينطلق غدًا بالسّوبّر النّجمة لتأكيد التّفوّق والعهد لمعادلة ألقاب منافسه. جريدة الأخبار، رياضة محلّيّة.

9- علي زين الدّين. (25 آب 2018). المدرجات تلعب دور الدولة! جريدة الأخبار، رياضة محلّيّة.

10- عماد عبداللطيف. (كانون الثّاني, 2019). بلاغة جمهور كرة القدم تأسيس نظريّ ومثال تطبيقيّ. العُمدة، صفحة كلّيّة الآداب واللّغات في جامعة محمّد بو ضياف.

11- نور عزّالدّين. (5 أيّار 2016). عن الطائفية وجمهور كرة القدم اللبنانية. جريدة السّفير،.8

**ثانيًا: المراجع الأجنبيّة:**

1- Zahi, L. (2012). Aux origines du club Africain: et du mouvement associatif sportif Tunisien. Tunis: Editions Karem Sharif.

**ثالثًا: المراجع الالكترونيّة:**

1- "العهد" يتوج بكأس لبنان... وجمهوره على المدرجات: "الله سوريا بشار وبس". (27 أيّار, 2019). تم الاسترداد من سبوتنيك عربي: https://arabic.sputniknews.com/sport/201905271041335678-%

2- أحمد محسن. (21 تشرين الثّاني, 2019). كرة القدم السّياسيّة في لبنان..من العهد الرّياضي إلى "العهد" السّياسيّ. تم الاسترداد من ultrasawt: https://www.ultrasawt.com/

3- الطائفية تنتقل إلى الملاعب.. "لبيك يا عمر" ردا على "لبيك يا حسين" في مباراة الأنصار والنجمة. (3 تشرين الأوّل, 2017). تم الاسترداد من بيروت اوبزرفر

beirutobserver: https://www.beirutobserver.com/2017/10/-85%/

4- جميل معوّض. (27 تشرين الأوّل, 2019). "كلن يعني كلن": بداية كسر هيمنة نظام الطائف؟ تم الاسترداد من المفكّرة القانونيّة: https://legal-agenda.com/ /

5- حسن السّاحلي. (29 تشرين الأوّل, 2019). الانتفاضة اللبنانية: أغنية ضدّ أغنية. تم الاسترداد من العربي الجديد: https://www.alaraby.co.uk/

6- رنا عفيفي. (20 نيسان, 2018). لحن الثورة.. أغاني الألتراس كحرب للذاكرة ضد النسيان. تم الاسترداد من الجزيرة: https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology/2018/4/20/

7- زينب ترحيني. (1 شباط, 2020). ثورة "17 تشرين" اللبنانية: استدعاء شعارات الربيع العربي. تم الاسترداد من السّفير العربيّ: https://assafirarabi.com/ar/28872/2020/02/01/ /

8- سعد الياس. (21 تشرين الثّاني, 2015). هتافات مذهبية بعد مباراة رياضية في صيدا. تم الاسترداد من القدس العربيّ: https://www.alquds.co.uk/ /

9- كرة القدم اللبنانية شيعية وسنية ودرزية ومسيحية. (26 نيسان, 2001). تم الاسترداد من 0https://archive.aawsat.com/details.asp?article=36958&issueno=8185#.YI0W57UzZM

10- ماري جوزي القزّي. (22 تشرين الثّاني, 2019). المظاهرات في لبنان: كيف أشعلت أغاني الألتراس المصري الحراك؟ تم الاسترداد من BBC NEWS-عربي: https://www.bbc.com/arabic/sports-50516299

11- محمّد عبدالرّحمن. (13 آب, 2018). الرياضة والدين.. هل فريق النجمة اللبنانى أنشىء على أساس دينى. تم الاسترداد من اليوم السّابع: https://www.youm7.com/story/2018/8/13/

12- ناجي شربل. (28 نيسان, 2009). الاعتداء على لاعبي العهد في الطريق الجديدة. تم الاسترداد من الأنباء: https://www.alanba.com.kw/ar/sport-news/48392/28-04-2009-

13- نهى محمود. (15 تشرين الثّاني, 2020). من "العهد" اللبناني إلى "الحشد" العراقي.. الطائفية تلاحق الساحرة المستديرة. تم الاسترداد من الحرّة: https://www.alhurra.com/iraq/2020/11/15/